مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05 العدد 01 يناير 2022 ص ص: 234-249
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

الأسرة الزيرية الحاكمة في غرناطة

The Zirid dynasty in Granada

ط.د. برحو بوسيف [1]♦

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا جامعة ابن خلدون - تيارت
berbouc@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/05/30 تاريخ القبول: 2021/10/03 تاريخ النشر: 2022/01/31

الملخص باللغة العربية:

لقد ساعدت الظروف أبناء زيري في إقامة دولتهم، وذلك بعد حالة التشرذم التي عاشتها الأندلس حتى قبل سقوط الخلافة في الأندلس فعليا، ذلك أن الخلافة سقطت في عام 422 هـ غير أن دول الطوائف قامت قبل ذلك بأعوام ومنها إمارة بني زيري في غرناطة والتي قامت سنة 403 هـ على أقرب تقدير.

وكان سيد بني زيري في تلك الحقبة زاوي بن زيري الصنهاجي وهو الذي يعود له الفضل في إقامة دولتهم في الأندلس نظرا للتضحيات الجسام التي قدمها في سبيل تحقيق ذلك.

ومع ذلك فإنه لما استتب له الأمر ترك بلاد الأندلس ورجع إلى بلاد المغرب حيث عاش أيامه الأخيرة هناك تاركا خلفه الملك والإمارة لأبناء أخيه ماكسن.

ومن بين أشهر ملوك غرناطة الزيرية باديس بن حبوس الذي توسعت في زمنه رقعة الدولة وأصبح لها شأن وذاع صيتها في الأفاق. عرف بحزمه وشدته، على أنه يعاب عليه أنه قرب اليهود، فهو أول من استوزرهم وأشركهم في الحكم، حتى صاروا يأمرون وينهون بل ويدبرون المكائد حتى بلغ بهم أن قتلوا بلقين ولد باديس وولي عهده.

وحكم من بعده حفيده عبد الله بن بلقين الذي سقطت في عهده دولتهم على يد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين الذي أنزله عن الحكم ونفاه الى المغرب ليعيش أيامه الأخيرة بها.

الكلمات المفتاحية: الأندلس ؛ بنو زيري ؛ غرناطة ؛ صنهاجة ؛ الدولة الزيرية .

♦ برحو بوسيف

Abstract: The circumstances helped the sons of Ziri to establish their state, given the division that Andalusia experienced during that period.

The state of Bani Ziri was established in the year 403 AH, despite the fact that the Umayyad caliphate in Andalusia fell until 422 AH.

The leader of Bani Zairi, was Zawy bin Zairi, However, when it was decided, he left the country of Andalusia and returned to the Maghreb, where he lived his final days there , leaving behind the king and the emirate for his nephew Maxen.

Among the most famous kings of Granada was Badis bin Habous, who in his time expanded the scope of their state and became an affair and became famous. He was known for his firmness and intensity. However, he is reproached for being close to the Jews, for he was the first to envy them and involve them in the rule.

After that, his grandson, Abdullah bin Bolokin, took over the rule of his country during the rule of the Almoravid Yusef bin Tashafin, who brought him down from the government and exiled him to the Magheb to live his last days.

Keywords: Bani Ziri ; Granada ; The Sunhajah tribe ; Andalus Emirate of Bani Ziri

مقدمة: حين ضاقت بلاد المغرب الأوسط ببعض أبناء زيري حين ضيّقَ عليهم أميرها حمّاد ورأوا هلاكهم على يديه إن هم بقوا بجواره لا محالة، وكانوا قد بادروه بالغدر فلم يجدوا بُدّا من الانتقال عن أراضيهم، وعجلوا بالرحيل وعبروا إلى العدوة الأندلسية ليكونوا في ركاب صاحب الدولة العامرية، ولقد اتفقت مصلحتهم مع مصلحة صاحب الدولة فهم كانوا يطلبون النجاة بأنفسهم، ومكانا يأمنون فيه على أرواحهم، وأبنائهم وأموالهم وهو كان يرمي من وراء استقبالهم إلى الاستعانة بهم في حروبه الداخلية والخارجية، وهو الخبير ببأسهم وجلدهم وقوة شكيمتهم.

وبعد هلاك الحاجب المنصور بدأت أحوال الأندلس في التدهور، خاصة بعد الفتنة البربرية التي لعب فيها أبناء زيري دورا مهما، وهو ما حرضهم في التفكير على إقامة دولة لهم وبالفعل كان لهم ذلك حين أقاموا بغرناطة دولة بني زيري في عام 403هـ، بعدما

استأثرت كل طائفة بناحية من نواحي الأندلس وجعلتها دار ملك فيما عرف بعصر دول الطوائف.

ومن هذا المنطلق يجدر بنا طرح التساؤل حول من هم أبناء زيري الذين عبروا إلى الأندلس وأسسوا الدولة الزيرية هناك ؟ ومن ثم نخلص إلى تساؤلات أخرى حول قبيلتهم التي ينحدرون منها، ثم التساؤل عمن بلغ به جده وأسعفه حظه ليتولى زمام الدولة ويجلس على عرش ملكها إلى أن نخلص إلى آخر أمرائها الذي سقطت وزالت الدولة في عهده.

ولقد ركزت على المنهج السردي وذلك بنقل الأخبار عن أبناء زيري الذين حكموا في الأندلس وأقاموا دولة هناك كما أوردها المؤرخون.

1- التعريف بقبيلة صنهاجة التي ينتمي إليها بنو زيري:

يرى أغلب المؤرخين والنسابة العرب أن صنهاجة من عرب اليمن من حمير، وعلى رأس هؤلاء نجد ابن الكلبي والطبري، ويبدو أنهما المصدر بالنسبة للقائلين بهذا الرأي من بعدهما وفي هذا يقول الناصري في كتابه (الاستقصا لدول المغرب الأقصى) «وَلما قفل إفريقش من غَزْو الْمغرب ترك هُنَالك حامية من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهما بهَا إِلَى الْآن وَلَيْسوا من نسب البربر قَالَه الطَّبَرِيّ والجرجاني والمسعودي وَابْن الْكَلْبِيّ والسهيلي وَجَمِيع النسابين من الْعَرَب.»[1]

ويقول ابن الكلبي: «... وأفريقش بن قيس بن صيفيّ، وهو الذي افتتح افريقية وسميت بهِ، وقتل ملكها جرجير، ويومئذٍ سمّيت البربر، قال لهم: " ما أكثر بربرتكُم ". وأَقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة ابني السَّور بن سعيد بن جابر بن سعيد بن قيس بن صيفيّ، فهم إلى اليوم». [2]

أما الطبري فيقول في معرض حديثه عن البربر: «... ما خلا صنهاجة وكتامة فإنهما بنو فريقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ» [3]

---

1 شهاب الدين السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري/ محمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص 117.

2 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2، دار المعارف، مصر ، ص207 .

3 هشام ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تح: ناجي حسن، ط1، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ، 1988 م، ص 548.

ويقول ابن الأثير: «...وأَمَّا مَن بَقِي مِن الْجَبَّارِين فَإِنَّ إِفْرِيقِش بن قيس بن صَيْفِيّ بن سَبَإٍ بن كعب بن زيد بن حِمْيَر بن سَبَإٍ بن يشجب بن يَعرب بن قحطان مَرّ بهم متوجّها إِلَى إِفرِيقِيّة فَاحتملهم من سواحل الشّام فقدم بهم إِفريقيّة فافتتحها وقتل مِلكه جرجِير وَأَسكنهم إِيّاها، فهم البرابرة، وَأقام من حِمْيِر فِي البربر صنهاجة وكتامة فهم فيهم إِلَى اليوم.» [4]

أما ابن خلدون فيقول عن صنهاجة: هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر. وكان لهم في الردّة ذكر وفي الخروج على الأمراء شأن، وأما ذكر نسبهم فإنّهم من ولد صنهاج، وهو عند نسّابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن برّ، وبعض النسّابة يزعم أنه صنهاج بن المثنّى بن المنصور بن مصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر بن سبإ، وأما المحقّقون من نسّابة البربر فيقولون هو صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن قيمتا بن سدور بن مولان بن مصلين بن يبرين بن مكسيلة بن دقيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم بن حام. ويزعمون أن جزول واللمط وهسكور إخوة صنهاج، وأن أمهم الأربعة بصكي وبها يعرفون وهي بنت زحيك بن مادغيس، ويقال لها العرجاء فهذه القبائل الأربعة من القبائل إخوة لأم. [5]

ومن صنهاجة كَانَ بَنو زيرى بن مُنَاد مُلُوك إفريقية والملثمون مُلُوك مراكش والأندلس وَأما كتامة فهم القائمون بدعوة العبيديين بإفريقية ومصر ويرى الْمُحَقِّقُونَ من نساب البربر كسابق المطماطي وَغَيره بِأَنَّ صنهاجة وكتامة قبيلتان عريقتان فِي البربر.[6]

ويوافق هذا الرأي الأخير ابن حزم حيث يقول: «وادّعت طوائف منهم إلى اليمن إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس

4 أبو الحسن ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج1، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997م ، ص 176

5 عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تح: خليل شحادة ، ج6، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م ، ص 201.

6 السلاوي، المرجع السابق، ج1، ص 121.

عيلان ابناً اسمه بر أصلاً ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرّخي اليمن». [7]

كان من صنهاجة بنو ملكان أو تلكات بن كرت، وكانت مواطنهم بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر ولمدية وملیانة وكان معهم بطون كثيرة من صنهاجة وبعض أعقاب ملكانة بجهات بجاية ونواحيها. وكان التقدّم منهم جميعا لبلكانة وكان أكثرهم لعهده الأغالبة مناد بن منقوش (أبو زيري) بن صنهاج الأصغر، وهو صناك بن واسفاق بن جريل بن يزيد بن واسلي بن سمليل بن جعفر بن إلياس بن عثمان بن سكاد بن ملكان بن كرت بن صنهاج الأكبر وقيل أن مناد بن منقوش ملك جانبي إفريقية والمغرب الأوسط مقيما لدعوة ابن العبّاس، وراجعا إلى أمر الأغالبة. وأقام أمره من بعده ابنه زيري بن مناد وكان من أعظم ملوك البربر. [8]

وزيري هذا هو أول من ملك من بيتهم. [9] وكانت بينه وبين مغراوة من زناتة المجاورين له من جهة المغرب الأوسط حروب وفتن طويلة. ولما استوسق الملك للشيعة بإفريقية تحيّز إليهم وكان من أعظم أوليائهم، واستطال بهم على عدوّه من مغراوة فكانوا ظهرا له عليهم وانحرفت لذلك مغراوة وسائر زناتة عن الشيعة سائر أيامهم وتحيّزوا عن المروانيّين ملوك العدوة بالأندلس فأقاموا دعوتهم بالمغرب الأوسط والأقصى . [10]

وهو الذي بنى مدينة آشير وحصنها في أيام خروج أبي يزيد مخلج الخارجي لما خرج على القائم بن المهدي وعلى ولده المنصور إسماعيل وملكها تام السياسة شجاعاً صارما [11] واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمرانها، ورحل إليها العلماء والتجّار من القاصية وحين نازل إسماعيل المنصور أبا يزيد لقلعة كتامة جاءه زيري في قومه ومن انضم إليه من حشود البربر وعظمت نكايته في العدوّ وكان الفتح، وصحبه المنصور إلى أن انصرف

7 ابن حزم الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1983، ص 495.

8 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 202.

9 شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج2، دار صادر بيروت، ص 343.

10 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 202.

11 ابن خلكان، المصدر السابق، ج2 ، ص 343.

من المغرب ووصله صلات سنيّة، وعقد له على قومه وأذن له في اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة أشير وعقد له على تاهرت وأعمالها. [12]

وكانت بينه وبين جعفر بن علي لأندلسي ضغائن وأحقاد أفضت إلى الحرب فلما تصافا انجلى المصاف عن قتل زيري المذكور، وذلك في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة وذكر أنه كبا به فرسه فسقط إلى الأرض فقتل، وكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة رحمه الله تعالى.[13]

2- التعريف بأبناء زيري بن مناد الذين كان لهم شأن في الأندلس:

حسب الكثير من المؤرخين ومنهم لسان الدين الخطيب أن من عبر من أبناء زيري بن مناد إلى الأندلس في عهد الدولة العامرية هم زاوي بن زيري، ومعه أبناء أخيه المقتول ماكسن حباسة، وحبّوس. [14]

2 . 1- زاوي ابن زيري:

قال عنه ابن خلدون: «كان عميد صنهاجة في الفتنة البربرية أجاز إلى الأندلس على عهد المنصور، فلما هاجت الفتنة البربرية، وانحل نظام الخلافة، كان فحل ذلك الشول وكبش تلك الكتائب، وعمد إلى البيرة، ونزل غرناطة واتخذها دارا لملكه، ولما بايع الموالي العامريّون للمرتضى المرواني وتولّى كبر ذلك مجاهد العامريّ ومنذر بن يحيى بن هاشم التجيبي وعمد إلى غرناطة فلقيهم زاوي بن زيري في جموع صنهاجة وهزمهم سنة عشرين وأربعمائة وقتل المرتضى. وأصاب زاوي من ذخائرهم وأموالهم وعددهم ما لم يقتنه ملك. ثم وقع في نفسه سوء آثار البربر بالأندلس أيام هذه الفتنة وحذّر مغبة ذلك فارتحل إلى سلطان قومه بالقيروان». [15]

وقال عنه أبو الحسن المغربي الأندلسي في كتابه (المغرب في حلى المغرب): «كَانَ داهية البربر خرب أَصْحَابه مَدِينَة إلبيرة، وعاثوا فِيهَا وَأظْهر هُوَ الْإِنْكَار لذَلِك وَالعدل وَقَامَ

12 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ، ص ص 203 ، 204.

13 ابن خلكان، المصدر السابق ، ج2 ، ص 343.

14 لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مج1، ط2، مكتبة الخانجي – القاهرة ، 1973م ، ص 432

15 ابن خلدون، المصدر السابق ، ج4 ، ص 206

بالمملكة واقتعد مَدِينَة غرناطة، وَهزمَ المرتضى المرواني وَعظم قدره ثمَّ خَافَ الكرة من أهل الأندلس فَرَحل بِمَا حازه من الذَّخَائِر الْعَظِيمَة إِلَى إفريقية وَبَقِي بغرناطة ابْن أَخِيه». [16]

و الظاهر أن تاريخ بني زيري في الأندلس، وكل ما حصل لهم من نعيم و ملك فيها كان بعد الله بسبب حنكة وإقدام وبسالة هذا الرجل زاوي ابن زيري، وبرغم ذلك وبرغم ما حققه من إنجازات وانتصارات، إلا أنه اتخذ قراره بمغادرة الأندلس والرجوع إلى بلاد المغرب مرة ثانية ليكمل بقية حياته بجوار إخوته وأبناء عمومته .

وفي ذلك يقول ابن عذاري «وفي سنة 410، وصل زاوي بن زيري الصنهاجي من الأندلس إلى أفريقية في أهله وولده وحشمه، بعد أن اغترب بها اثنين وعشرين سنة وقاسى حروبها وفتنها واحتوى على نعم ملوكها وذخائرهم فخرج إليه في يوم وصوله شرف الدولة المعز بن باديس بزي عظيم، فترجل له الشيخ زاوي، ونزل شرف الدولة وسلم عليه، وسار معه حتى أنزله بالمنصورية.» [17]

وعن سبب قرار زاوي بالرحيل يخبرنا ابن بسام الشنتريني نقلا عن ابن حيان ما نصه « ... وذلك أنه لما انهزم المرتضى قال زاوي لقومه: كيف رأيتم ما قد خلصنا منه - قالوا: عظيما، قال: فلا تتناسوه وتغالطوا أنفسكم بعده إن انهزام من رأيتموه لم يكن من قوة منا إنما جره مع القضاء غدر ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا، وقد نجانا الله منهم برحمته، فالرأي الخروج عن أرضهم واغتنام السلامة مع إحراز الغنيمة، والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها كانفين للعيال والذرية، مباعدين لهم لما وراءنا من أهل جنسنا زناتة، الأعداء في الحقيقة الذين لا يغفلون عنا وإن غفلت الخليقة، وها أنا قد أديت لكم النصيحة وأنا راحل عن الأندلس فمن أطاعني فليرحل معي. فلم يساعده أحد فرحل...». [18]

2.2- حباسة بن ماكسن :

---

16 ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة 1955 ، ص 415

17 ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، إ.ليفي بروفنسال، ج1 ، ط3، دار الثقافة، بيروت ، 1983م ، ص 269.

18 ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ج1، ط1، الدار العربية للكتاب، ليبيا/ تونس، 1981 ، ص 459.

يقول عنه محمد عبد الله عنان: كان حباسة بن ماكسن من أشجع قادة البربر كان مقتله في آخر ذي الحجة سنة 402 هـ، حين تقدم جماعة من وجوه البربر وفي مقدمتهم حباسة ومعه جماعة قليلة من الفرسان، ونزلوا في بقعة قريبة من الأسوار فرآهم أهل قرطبة من وراء الخندق، فاجتمع منهم عدد عظيم، وانقضوا على حباسة وصحبه فدافعوا عن أنفسهم دفاعاً عظيماً، ولكنهم غلبوا في النهاية على أمرهم، وأسر حباسة، فلما عرفه القوم قتلوه بوحشية وقطعوا جسده إرباً لعظيم حقدهم عليه ولما قاسوه من شدة قتاله ونكايته.[19]

ويقول عنه لسان الدين ابن الخطيب: كان شهما هيّبا، كريما في قومه، أبيّا في نفسه صدرا من صدور صنهاجة، حين استلحم وهو فارس صنهاجة وفتاها، وكان قد تقدّم إلى هذه الناحية ولمّا بلغه اشتداد الأمر فيها، رمى بنفسه على طلّابها واتّفق أن ركب بسرج طري العمل متفتح اللّبد وخانه مقعده عند المجاولة، لتقلّبه على الصّهوة، ومضى قدما بسكرى شجاعته ونشوته يستقبل القنا بلبّاته، لا يعرض له شيء إلّا حطّه، إلى أن مال به سرجه، فأتيح حمامه لاشتغاله بذلك، بطعنة من يد المسمّى النّبيه النصراني، أحد فرسان الموالي العامريين، فسقط لفيه وانتظمته رماح الموالي فأبادته.[20]

3.2- حبوس بن ماكسن:

وعلى أثر ارتحال زاوي سعى الفقيه ابن أبي زمنين قاضي غرناطة، في أن يعين لولايتها حبوس بن ماكسن ابن أخى زيري، فلحق به في حصن أشتر على مقربة من وادي آش. وكان يرابط هنالك مترقباً رحيل عمه. فبادر بالسير إلى غرناطة، ودخلها في موكبه وطبوله، واحتلها فلم يعارضه أحد من قومه، وتربع في رياستها من وقته. وقيل إن عمه زاوي اختاره ليخلفه قبل رحيله. وقيل من جهة أخرى إن نزاعاً حدث بسبب ذلك، بينه وبين ابن عمه جلالي بن زاوي ولكنه انتهى برحيل جلالي ولحاقه بأبيه وخلصت له الرياسة، ومن ذلك الحين تبدأ بغرناطة دولة بني زيري بن مناد.[21]

حكم غرناطة في سنة 411 هـ وكان حسن التدبير والسياسية، نعمت غرناطة في عهده بنوع من الهدوء والاستقرار واتسعت رقعة هذه الدويلة عندما سيطر على قبرة وعلى

19 محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1997 ، ص 652.

20 ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1 ، ص ص 486، 487

21 عنان، المرجع السابق، ج2، ص 126

مدينة جيان، واهتم بعمارة مدينة غرناطة، حتى مكّن لبني مناد ملكاً قوياً راسخاً وكانت سياسته تقوم على مصادقة جيرانه من زعماء البربر وفي مقدمتهم بنو حمود حكام مدينة مالقة والتحالف مع هذه القوى ضد بني عباد حكام إشبيلية توفي حبوس سنة 428 هـ. [22]

وكان على قسوته يصغي إلى الأدب، وينتمي في العرب، للأثر المقفو في قومه صنهاجة، وكان وقورا حليما، فظا مهيبا، نزر الكلام قليل الضحك، كثير الفكر، شديد الغضب، غليظ العقاب، شجاعا حسن الفروسية، جبارا متكبرا داهية، واسع الحيلة كامل الرجولية.[23]

حشد الجند ونظم الجيش، وكان يشرك بني عمه في الرأي، ويجري في حكمه على طريق الشورى. ووطد حبوس ملك قومه بغرناطة، وأقام له بلاطاً فخماً، وعقد علائق المودة والتحالف مع سائر جيرانه من رؤساء البربر وفي مقدمتهم بني حمود أصحاب مالقة، وعقد الصداقة أيضاً مع زهير الفتى العامري صاحب ألمرية، وفي عام (428 هـ) توفي حبوس بن ماكسن، وخلفه في حكم غرناطة ولده باديس.[24]

4.2- باديس بن حبوس:

وَكَانَ من أبطال الحروب وشجعانها يضْرب بِهِ الْمثل فِي شدَّة الْقَسْوَة وسفك الدِّمَاء وَعظم ملكه بهزيمة زُهَيْر ملك ألمرية وَقَتله له، وَكَانَ على مَا فِيهِ من الْقَسْوَة حسن السياسة منصفا حَتَّى من أَقَاربه. [25]

قدر لباديس أن يكون أقوى ملوك البربر في جنوبي الأندلس، وأعظمهم شأناً، في تلك الفترة التي كثرت فيها الممالك، ولم ينازعه أحد في الملك غير ابن عمه يدّير بن حُباسة بن ماكسن. وكان يدير ومن ورائه بعض شيوخ غرناطة يحاول منذ أيام عمه حبوس، أن ينتزع السلطة لنفسه، فلما فشل أيام حبوس، حاول أن يعيد الكرة في أوائل عهد باديس.[26]

---

22 خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2000 م، ص ص 234، 235.

23 ابن بسام، المصدر السابق، ج1 ، ص 461.

24 عنان، المرجع السابق، ج2 ، ص 126

25 ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 107.

26 عنان، المرجع السابق، ج2 ، ص 127.

وكان لباديس كاتب من اليهود هو إبراهيم ابن نغرالة، ولما دبر القوم مؤامرتهم لانتزاع السلطة من باديس، وإجلاس يدير مكانه لجأوا إلى أبي إبراهيم، وحاولوا ضمه إليهم فتظاهر بالقبول وأخطر مولاه باديس ودبر اجتماعهم بمنزله، وحضور باديس ليسمع بنفسه مشاوراتهم من مكان معين، وكان المتآمرون قد اعتزموا أمرهم لقتل باديس، أثناء تنزهه بمكان بالضاحية يعرف بالرملة، وعلم المتآمرون بافتضاح تدبيرهم، ففروا إلى خارج غرناطة، وفي مقدمتهم يدير بن حباسة.[27]

قال فيه الفتح بن خاقان: «...كان باديس بن حبوس بغرناطة عاثياً في فريقه عادلاً عن سنن العدل وطريقه يجتري على الله غير مراقب، ويجري إلى ما شاء غير ملتفت للعواقب، قد حجب سنانه لسانه، وسبقت إساءته إحسانه ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم، ولا شرب الماء إلا من قليب دم، احزم من كاد ومكر وأجرم من راح وابتكر، ومازال متقداً في مناحيه، مفتقداً لنواحيه، لا يرام بريث ولا عجل، ولا يبيت له جار إلا على وجل إلى أن وكل أمره إلى احد اليهود واستكفاه، وجرى في ميدان لهوه حتى استوفاه، وأمره أضيع من مصباح الصباح، وهمه في غبوق واصطباح، وبلاده مراد للفاتك، وستره في يد الهاتك».[28]

وامتدت مملكة باديس من بسطة شرقاً حتى إستجة ورندة غرباً، وبياسة وجيان شمالا حتى البحر جنوباً وباديس هو الذي مصّر مدينة غرناطة، وغدت منذ عهده من أهم قواعد الأندلس الجنوبية، وأنشأ قصبة غرناطة فوق أنقاض قلعتها القديمة وسميت باسمها القديم " القلعة الحمراء " وأقام داخل القصبة قصره ومسجده الذي دفن فيه وأنشأ سوراً ضخماً حول الربوة التي تقع عليها القصبة وأنشأ قصبة مالقة المنيعة، بيد أن بلاطه لم يسطع كما سطعت قصور ملوك الطوائف الأخرى، ذلك أن بلاط غرناطة البربري، لبث محتفظاً بطابع البداوة والخشونة، الذي كان يغلب على دولة آل زيري، ولم تعرف دولتهم تلك الخواص الحضارية والأدبية الرفيعة، التي امتازت بها دول الطوائف الأخرى.[29]

5.2- عبد الله بن بلقّين بن باديس:

---

27 عنان، نفسه، ج2 ، ص ص 127، 128.

28 الفتح بن أحمد ابن خاقان، قلائد العقيان، تح: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن ، 1989م، ص ص 80، 81

29 عنان، المرجع السابق، ج2، ص ص 139، 140 .

لقبه المظفّر بالله، الناصر لدين الله. ولي بعد جدّه باديس في شوال سنة خمس وستين وأربعمائة، وصحبه سماجة الصّنهاجي تسع سنين. قال الغافقي: وكان قد حاز حظّا وافرا من البلاغة والمعرفة، شاعرا جيّد الشعر، مطبوعه، حسن الخطّ، كانت بغرناطة ربعة مصحف بخطّه في نهاية الصّنعة والإتقان.[30]

وأبوه هو بلقين بن باديس الملقب بسيف الدولة كان أبوه قد تنازل له عن ملك مالقة ورشحه للحكم من بعده لولا الأجل باغته في حياة أبيه، وهذا كان سببا في انتقال ولاية العهد منه الى ابنه عبد الله بن بلقين.

والسبب في وفاته أنه كان ينظر إلى استئثار الوزير اليهودي ابن نغرالة بزمام الأمور في عهد أبيه باديس، وكان يجاهر ببغضه لابن نغرالة، وسعيه إلى إسقاطه ويفضي أحياناً إلى خاصته برغبته في إزالته وقتله، وكان يوسف من جانبه، يحيط بلقين بعيونه ويتقصى سائر حركاته وسكناته، وكان بلقين مع بغضه ليوسف، يبدي له المودة ويتردد على داره ويشاطره الشراب، وكان منهمكاً مدمناً. فاعتزم يوسف أن يتخلص من بلقين ودس له السم في كأسه فما كاد يغادر مجلسه حتى ملكه قيء شديد، وما كاد يصل إلى داره، حتى لزم فراشه، ثم توفي بعد يومين.[31]

ولما توفي باديس المظفر بالله، اتفق رجال الدولة وشيوخ صنهاجة على تولية حفيده عبد الله بن بُلُقِّين مكانه، وكان صبياً حدثاً. وكان أخوه الأكبر تميماً يتولى حكم مالقة منذ أيام جده. أما ماكسن ولد باديس، فقد كان خارجاً على أبيه حسبما يذكره المؤرخون، وكان قد عاد إلى مدينة جيان، وامتنع بها، وكان سيىء الخلال والسيرة، فلم يلتفت إليه، ولم يقم أحد بدعوته، وتولى تدبير الدولة ورعاية الملك الصبي، الوزير سماجة أحد شيوخ صنهاجة، وكان هذا الوزير رجلا حازماً، قوي العزم، شديد السطوة مرهوب الجانب، فضبط الدولة، واستأثر بالسلطة، وأحسن السيرة.[32]

وعن بعض صفات الأمير عبد الله بن بلقين وخلاله التي عرف بها يخبرنا ابن الخطيب نقلا عن ابن الصيرفي يقول: كان جبانا مغمد السيف، قلقا، لا يثبت على الظّهر، لا أرب له في النساء، هيّابة، مفرط الجزع، يخلد إلى الرّاحات، ويستوزر الأغمار.[33]

---

30 ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ، ص 289.
31 عنان - المرجع السابق، ج2 ، ص 134.
32 عنان، المرجع السابق، ج2، ص 142.
33 ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ، ص 290.

وكان بنو مناد البربر ملوك غرناطة يصطنعون اليهود في البداية، فلما اشتدت وطأتهم على صنهاجة. وانتهت إلى البطش بهم (سنة 459 هـ - 1066 م). جنح أمير غرناطة عبد الله بن بلقين حفيد باديس، إلى اصطناع النصارى، واضطر بضغط الظروف إلى محالفة ملك قشتالة، أو بعبارة أخرى إلى الانضواء تحت حمايته وتأدية الجزية له وتمتع المعاهدون في غرناطة بالحماية والرعاية، وازدهرت أحوالهم واشتد ساعدهم واتخذ الأمر عبد الله في بطانته عدة من أكابر النصارى القشتاليين. يعاونونه في شئون الحرب والإدارة ومنهم عدة من أكابر الفرسان.[34]

وفي عام ثلاثة وثمانين وأربعمائة، تحرّك أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين لخلع رؤساء الأندلس، فأجاز البحر، ويمّم قرطبة، وفي ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من رجب، اجتمع إلى حفيد باديس صنائعه، فخوّفوه من عاقبة التربّص وحملوه على الخروج إليه، فركب وركبت أمّه ولقي أمير المسلمين على فرسخين من المدينة فترجّل وسأله العفو، فعفا عنه.[35]

وأخذ عبد الله وأهله أولا إلى الجزيرة الخضراء، ثم نقلوا إلى سبتة، فمكناسة وأخذوا أخيراً إلى مدينة أغمات، حيث تقرر إقامتهم، وأنزلوا هنالك داراً حسنة وعوملوا برفق ورعاية وعاش عبد الله بأغمات حتى توفي. وكتب فيها مذكراته الموسومة بكتاب " التبيان" وعفا أمير المسلمين فيما بعد عن أخيه تميم.[36]

وحلّ اعتقالهما، ورفّه عنهما، وأجري المرتّب والمساهمة عليهما. وأحسن عبد الله أداء الطاعة، مع لين الكلمة فقضيت مآربه، ورزق الولد في الخمول، فعاش له ابنان وبنت، جمع لهم المال، فلمّا توفي ترك مالا جمّا.[37]

3- الحديث عن غرناطة دار ملك بني زيري وبعض أهم أعمالها:

1.3 - غرناطة:

ومعناها الرمّانة بلسان عجم الأندلس سمّي البلد لحسنه بذلك، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقّها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم ويعرف الآن بنهر حدارّه، يلقط منه سحالة الذهب الخالص وعليه أرحاء كثيرة في

34 عنان، المرجع السابق، ج2 ، ص 411.
35 ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ، ص 289.
36 عنان، المرجع السابق ، ج2 ، ص 342.
37 ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ، ص 291.

داخل المدينة وقد اقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينة فتعمّ حمّاماتها وسقاياتها وكثيرا من دور الكبراء، وله نهر آخر يقال له سنجل واقتطع لها منه ساقية أخرى تخترق النصف الآخر فتعمه مع كثير من الأرباض، وبينها وبين البيرة أربعة فراسخ وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا.[38]

وبها جبل الثلج مطل عليها، على ذروته توجد أيام الصيف صنوف الرياحين والرياض المونقة، وأجناس الأفاويه وضروب العقاقير. وبها شجرة الزيتون التي هي من عجائب الدنيا وبقربها كنيسة عندها عين ماء وشجرة زيتون، والناس يقصدونها في يوم معلوم من السنة فإذا طلعت الشمس ذلك اليوم أخذت تلك العين بإفاضة الماء ففاضت ماء كثيراً، ويظهر على الشجرة زهر الزيتون ثم ينعقد زيتوناً، ويكبر ويسود في يومه ذلك اليوم، فيأخذ من ذلك الزيتون من قدر على أخذه، ومن ذلك الماء للتداوي.[39]

وقيل عنها أيضا: مدينة كبيرة مستديرة رائعة المنظر، كثيرة الأشجار والأمطار والأنهار والبساتين والفواكه، قليلة مهبّ الرياح، لا تجر بها الريح إلا نادرا لاكتناف الجبال إيّاها وفيها عيون ماء كثيرة، وأشجار مختلف ألوانها، وخصوصا التفاح والقراسيا البعلبكية التي لا تكاد توجد في الدنيا منظرا وحلاوة حتى إنها ليعصر منها العسل، وبها الجوز والقسطل والتين والأعناب، والخوخ، والبلّوط وغير ذلك.[40]

ولغرناطة سبع وعشرون مدينة [41] تابعة لها أذكر منها :

2.3 - إلبيرة:

وهي كورة كبيرة من الأندلس بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وفي أرضها معادن ذهب وفضة وحديد ونحاس، ومعدن حجر التوتيا في حصن منها يقال له: شلوبينية. وفي جميع نواحيها يعمل الكتّان والحرير الفائق وينسب إليها كثير من أهل العلم في كل فن.[42]

---

38 ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ط2، - دار صادر – بيروت، 1995 ، ص 195.

39 زكريا بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص 547.

40 شهاب الدين أحمد بن يحي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج4، ط1، المجمع الثقافي أبوظبي، 1423هـ ، ص ص 227، 228.

41 مريم قاسم الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403- 483/ 1012- 1090 ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994، ص 53.

42 الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 244.

وهي من أكرم المدن وأطيبها شديدة الشبه بغوطة دمشق في غزارة الأنهار والتفاف الأشجار وكثرة الثمار، في ساحلها شجر الموز، ويحسن بها نبت قصب السكر. [43]

3.3 - جيان:

مدينة بالأندلس بينها وبين بياسة عشرون ميلاً وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، ولها زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير وبها جنات وبساتين ومزارع وغلات القمح والشعير والباقلى وسائر الحبوب وعلى ميل منها نهر بلون، وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة جداً، وبها مسجد جامع وعلماء جلة، وفي داخلها عيون وينابيع مطردة، ومن عيونها عين سطرون وماؤها غزير نمير وعليها سقي كثير وجامع جيان مشرف يصعد إليه على درج من جميع نواحيه وهو من خمس بلاطات على أعمدة رخام وله صحن كبير حوله سقائف، وهو من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم على يد مسرة عامل جيان. [44]

4.3 - بياسة:

بينها وبين جيان عشرون ميلاً، وكل واحدةٍ منهما تظهر من الأخرى، وبياسة على كديةٍ من ترابٍ، مطلةٍ على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي مدينة ذات أسوارٍ وأسواقٍ ومتاجر وحولها زراعات، ومستغلات الزعفران بها كثيرة. [45]

5.3 - مالقة:

مدينة حسنة عامرة آهلة كثيرة الديار متسعة الأقطار بهية كاملة سنية أسواقها عامرة ومتاجرها دائرة ونعمها كثيرة ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إلى رية وتينها يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند وهو من أحسن التين طيبا وعذوبة ولمدينة مالقة ربضان كبيران ربض فنتالة وربض التبانين وشرب أهلها من مياه الآبار وماؤها قريب الغور كثير عذب ولها واد يجري في أيام الشتاء والربيع وليس بدائم الجري . [46]

---

43 القزويني، المصدر السابق، ص 502.

44 أبو عبد الله الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980، ص 183.

45 المصدر نفسه، ص 121

46 محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ ص 565 .

6.3 - أليسانة:

وهي مدينة اليهود ولها ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود وبه المسجد الجامع وليس على الربض سور والمدينة مدينة متحصنة بسور حصين ويطوف بها من كل ناحية حفير عميق القعر والسروب وفائض مياهها قد ملأ ذلك الحفير واليهود يسكنون بجوف المدينة ولا يداخلهم فيها مسلم البتة وأهلها أغنياء مياسير أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين ولليهود بها حذر وتحصن ممن قصدهم.[47]

4- خاتمة: استطاع أبناء زيري أن يؤسسوا دولتهم في الأندلس، مع أنهم خرجوا فارين من مضاربهم في بلاد المغرب الأوسط، لا يطلبون إلا النجاة بأنفسهم، لكن أحداثا كثيرة جرت في الأندلس ساعدتهم في تحقيق بغية لم يكونوا يرنون إليها حين خروجهم وبالفعل كان لهم أن فعلوا مثل غيرهم من الطوائف المختلفة المتشرذمة، واقتطعوا لهم رقعة من الأندلس أقاموا عليها دولتهم التي عمرت حوالي الثمانين عاما إلى أن سقطت على يد أمير المرابطين يوسف بن تاشفين.

وكان عبد الله بن بلقين هو آخر أمراء هذه الدولة والتي زالت في عهده، وانطفأت شمعتها كما لم تكن أصلا، وهذا بعدما قيض الله للأمة من يعيد لها عزتها وقوتها ولو الى حين على يد أمراء الدولة المرابطية، التي أنقذت الأندلس من الفرقة والضعف والهوان الذي تسبب فيه تناحر وتنافس ملوك الطوائف حتى أعطوا الدنية وسلموا رقابهم لعدوهم من النصارى وحالفوه على بعضهم وقدموا لهم الإتاوة والجزية صاغرين.

5- قائمة المراجع:

1- ابن الأثير أبو الحسن ، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج1، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1997م .

2- الإدريسي محمد ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، بيروت، عالم الكتب، ط1 1409هـ .

3- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ج1، ليبيا/ تونس، الدار العربية للكتاب، ط1، 1981 .

4- ابن حزم الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983 .

5- الحموي ياقوت ، معجم البلدان، ج4، بيروت، دار صادر، ط2، 1995 .

47 المصدر نفسه، ج2، ص 572 .

6- الحميري أبو عبد الله، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط2، 1980 .
7- ابن خاقان الفتح بن أحمد ، قلائد العقيان، تح: حسين يوسف خربوش، الزرقاء الأردن مكتبة المنار، 1989م.

8- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مج1 القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1973م .

9- ابن خلدون عبد الرحمن ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، ج6، بيروت، دار الفكر، ط2، 1988م .

10- ابن خلكان شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج2 بيروت، دار صادر .

11- خليل إبراهيم السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2000 م .

12- ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف ط3 ، 1955 .

13- السلاوي شهاب الدين، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري/ محمد الناصري، ج1، الدار البيضاء، دار الكتاب.
14- شهاب الدين أحمد بن يحي، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، أبوظبي، المجمع الثقافي، ط1، 1423هـ .
15- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل و الملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط2.
16- الطويل مريم قاسم ، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403- 483/ 1012- 1090 بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1994 .

17- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان إ.ليفي بروفنسال، ج1، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983م.

18- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط4 1997 .

19- القزويني زكريا بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.

20- ابن الكلبي هشام، نسب معد واليمن الكبير، تح: ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ، ط1، 1988 م .